

انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثرها في تذوق بلاغة النظم

د. ابتهاج راضي**

د. سامية حرب*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/١/٦ م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠/٦/١٠ م

ملخص

هذه دراسة لجملة من انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثرها في بلاغة النظم، حيث اشتملت الدراسة على نبذة مختصرة عن يعقوب الحضرمي وراوييه -رحمهم الله تعالى-، ثم تناولت بعض انفرادات الحضرمي فيما يتعلق بالأفعال، وأثر تلك الانفرادات في بلاغة السياق والنظم الذي وردت فيها. وخلصت الدراسة إلى أن قراءات القرآن تعطي معناها في سياقه ونظمه بما يبهز العقول والقلوب دون أن تتضاد مع القراءات الأخرى أو تقصر عن بلاغتها فكل كلمة في مكانها هي الأبلغ. وختمت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات التي يجدر بأهل العلم أن يتمثلوها في تتبع دلائل إعجاز القرآن الكريم.

The Hadrami solitary words in verbs and their Impact on the Rhetoric syntax

Abstract

This is a study of a series of solitarian verbs of the reciter Yaqub Hadrami in the Quranic words and their impact on the rhetoric of syntax.

This study included a brief overview of Yaqub Hadrami and his narrators (may Allah have mercy on them). The study concluded that recitations of the Quran gives its meaning in the context and systems, which dazzles minds and hearts without contradicting with other recitations or falls short of eloquence, each word in its place is the most rhetorical.

The study concluded with some conclusions and recommendations that scholars should be considered in the inimitability of the Holy Quran.

المقدمة.

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأرسل رسوله محمداً ﷺ داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. والصلاة والسلام على خير من بلغ رسالة السماء إلى الأرض حتى عبق شذاها من أقصى البلاد إلى أقصاها وعمر نور الله أرضه فاللهم صلِّ وسلم وبارك على من أقرأته فلم ينسَ وقضيت إليه وحيك محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

* أستاذ مساعد، وزارة الأوقاف - quranicrecitation@hotmail.com

** أستاذ مشارك، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

أما بعد فهذه دراسة لجملة من انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثرها في بلاغة النظم. دأب أهل التفسير والمختصون في تتبع دلائل إعجاز القرآن الكريم أن ينطلقوا في دراساتهم من رواية حفص عن عاصم الأكثر انتشارا في العالم الإسلامي، ومنهم من اعتمد قراءة نافع كتفسير التحرير والتتوير لابن عاشور. ولم تُخدم القراءات القرآنية الأخرى بالقدر الكافي فيما يتعلق بهذا العلم لاسيما أن كل قراءة قرآن منزل وهي في موضعها منه آية أو بعض آية. من هنا جاءت تلك الدراسة؛ لتسهم بجهد متواضع في هذا المجال فجمعت جملة مما انفرد فيه الحضرمي عن سائر القراء ودرست كل انفرادة في نظمها وسياقها وتحسست دلالتها على المعنى ما أمكن.

مشكلة الدراسة.

تناولت الدراسة بعض انفرادات الحضرمي فيما يتعلق بالأفعال من حيث زمنها ووزنها الصرفي وعلاقتها بالتركيب، وأثرها في بلاغة النظم.

أسئلة الدراسة.

- ما انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال؟
- ما أثر تلك الانفرادات في بلاغة النظم؟

أهداف الدراسة.

- تسليط الضوء على أثر انفرادات قراءة يعقوب الحضرمي في بلاغة النظم.
- توضيح أن دلائل إعجاز القرآن تشمل كل آية فيه ضمن نظمها وسياقها، وتتعدى ذلك إلى ما تحوي الآية من وجوه القراءة.
- تأسيس منهج للتأليف في دلائل إعجاز القراءات حسب كل قراءة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

منهجية الدراسة.

اتبعت الدراسة منهج الاستقراء للانفرادات، ودراسة ما أتيح منها مرتبطا بنظمه وسياقه ومحاولة تحسس ما أمكن من المعاني. وقد اعتمدت الدراسة على أمهات كتب التفسير وبعض كتب اللغة وما ألف في دلائل الإعجاز، إضافة المنهج التحليلي لأن الاستقرائي وحده لا يقيم الدراسة.

خطة الدراسة.

اشتملت الدراسة على مقدمة وخاتمة ومبحثين كل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب:

المبحث الأول: مهّد للدراسة بنبذة مختصرة عن يعقوب الحضرمي وراوييه -رحمهم الله تعالى-.

المبحث الثاني: تناولت الدراسة بعض انفرادات الحضرمي فيما يتعلق بالأفعال من حيث زمنها ووزنها الصرفي وعلاقتها بالتركيب وأثرها في بلاغة النظم.

وختمت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات التي يجدر بأهل العلم أن يتمثلوها في تتبع دلائل إعجاز القرآن الكريم. والله أسأل، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم مؤصلاً لدراسات مستقبلية يكون لها الأثر في هداية العقول والقلوب إلى صراط الله المستقيم، إنه أهل ذلك والقادر عليه.

محددات الدراسة.

- استقراء انفرادات الحضرمي في الأفعال.
- توضيح الأثر البلاغي لتلك الانفرادات.
- إبراز العلاقة بين كل انفرادة مع نظمها وسياقها.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات المتعلقة بتعدد القراءات وأثرها في شتى العلوم والميادين، كما تنوعت الدراسات المتعلقة في بلاغة النظم القرآني.

- كتاب أثر تعدد القراءات في بلاغة النظم القرآني، انشراح أنس سويد، إشراف نور الدين عتر، جامعة دمشق، ٢٠١٥، تناول البحث أثر تنوع القراءات في تعدد المعاني، وتعدد دلالات القراءات وأثرها في بلاغة النظم، وتغاير إعراب القراءات وأثره في بلاغة النظم، ولم يتناول كل قراءة على حدة.
 - الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، إعداد: محمد الجمل، إشراف أ.د. فضل عباس، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥، وقد اهتم الباحث بتوجيه القراءات القرآنية المتواترة بلاغياً، إلا أن دراسته كانت دراسة تحليلية تعتمد على جمع آراء المفسرين وتحليلها، وقد أغفل الباحث عدداً من الفنون البلاغية التي يدخلها تنوع القراءات، ومنها التعريف والتكثير، وبلاغة الالتفات.
- أما هذه الدراسة فتعنى باستقراء ما انفرد به القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثر تلك القراءات في بلاغة النظم؛ فهي دراسة استقرائية تحليلية حيث لا يوجد دراسة تخصصت في قراءة الحضرمي فضلاً عن انفراداته.

المبحث الأول:

التعريف بـ يعقوب الحضرمي وراوييه.

بادئ بدء لا بد من التعريف بصاحب القراءة وراوييه، ثم إيراد نبذة عن مختصرة عن أصول قراءته وما انفرد به في هذا المجال عن باقي القراء.

المطلب الأول: يعقوب الحضرمي وروايه.

في هذا المطلب سيتم الحديث عن يعقوب الحضرمي وروايه أصحاب تلك القراءة. يعقوب الحضرمي هو: الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين. نشأ في البصرة، وتلمذ لأعلام الإقراء، ومنهم: سلام بن سليم، وأبي الأشهم العطاردي، وشهاب بن شرنقة، وغيرهم. كما أنه سمع من: حمزة الزيات الكوفي، ومحمد بن زريق عن عاصم، والكسائي.

يلحظ أن الإمام يعقوب قرأ على أعلام الإقراء بالبصرة والكوفة في زمانه مما أكسبه تبحراً في هذا العلم وبراعةً فيه، إضافة إلى ما برع فيه هذا الإمام -رحمه الله تعالى- من علم النحو وعلوم اللغة .

أما عن تلاميذه فهم خلقٌ كثير، من أشهرهم: راويه المعروفان محمد بن المتوكل المعروف برويس، وروح بن عبد المؤمن. كما يلحظ أن يعقوب يوافق أبا عمرو بن العلاء البصري في كثيرٍ من الأحيان فقد ورد أنه سمع حرفه في الإدغام الكبير عن سلام، وقد ذكر بعض العلماء أنه عاصر أبا عمرو ويمكن أن يكون قرأ عليه أو سمع منه والله تعالى أعلم. كان إمام أهل البصرة في زمانه، وكان تقياً ورعاً، وكانت قراءته تُقرأ في الصلوات في المساجد.

توفي -رحمه الله تعالى- عام خمسة ومئتين للهجرة بعد أن قضى حياته يقرأ ويُفَرِّق، وجند نفسه خادماً لكتاب الله ﷻ^(١). أما رويس فهو: محمد بن المتوكل، وهو تلميذ يعقوب، نقل عنه القراءة وأقرأ بها. شهد له بالحدافة والمهارة في مجاله. توفي سنة ثمانٍ وثلاثين ومئتين للهجرة على الأصح.

أما الراوي الثاني عن يعقوب فهو: روح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي مولاهم البصري النحوي. وهو مقرئٌ جليل ثقة، برع في النحو، ونقل القراءة عن يعقوب الحضرمي وغيره وأقرأ بها. توفي -رحمه الله تعالى- سنة خمسٍ وثلاثين ومئتين للهجرة.

فكما أن يعقوب الحضرمي بصري فكذاك رواياه. ولا شك أن البصرة كانت مهداً لكثير من أهل الحديث والفقه واللغة وسائر العلوم مما أثر بشكل واضح على هذا الإمام ومن روى عنه.

المطلب الثاني: انفرادات يعقوب وروايه في أصول القراءات.

إذا تأمل القارئ قراءة يعقوب وروايه يلحظ أنه وافق أبا عمرو بن العلاء في كثير من أصوله، وكذا عدداً من القراء. وفي هذا المقام سيتم الاختصار على ما انفرد به يعقوب الحضرمي أو أحد رواييه عن غيره من القراء. وتفصيل ذلك: **أولاً: ما يتعلق بالإدغام الكبير:** انفرد يعقوب بإدغام التاء بالتاء وصلاً في كلمة (تتمارى) في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ [النجم: ٥٥]. وانفرد رويس بإدغامها في كلمة (تتفكروا) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ ۚ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦].

ثانياً: ما يتعلق بهاء الكناية: انفرد يعقوب بضم هاء الكناية إذا جاءت بعد ياء ساكنة فيما سوى الفرد. ويستثنى من ذلك كلمات: (عليهم، إليهم، لديهم) فإن حمزة وافقه فيها. وتفرد رويس عنه بضمها عند زوال الياء لعارض الجزم أو البناء فإن

الفعل المضارع معتل الآخر يجزم بحذف حرف العلة ويبني على ذلك، مثل: (بخزهم، يلههم، قهم، يغنهم، فاستقتهم).
ويستثنى من ذلك كلمة (يولهم) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

ثالثاً: فيما يتعلق ببياعات الزوائد: انفرد يعقوب بإضافة ياء على رؤوس الآي التي تنتهي بالدلالة على ياء المتكلم وصلاً ووقفاً مثل: (فارهبون، فانتقون) وغيرها.

رابعاً: فيما يتعلق بالوقوف على مرسوم الخط: انفرد يعقوب بإضافة هاء سكتٍ على ما يلي:

- أ- ضمير الغائب المفرد الذي يدل على مذكرٍ أو مؤنث (هو، هي) عند الوقف.
- ب- ما انتهى بنون النسوة مثل: (فيهن، لهن).
- ج- الضمير المتصل الدال على ياء متكلم: (علي، إلي).
- د- انفرد روبيس بالوقوف على هاء سكت عند الوقف على الظرف (ثم)، وفي الكلمات المنتهية بألف الندبة (يا أسفى، يا ويلتى، يا حسرتاً).

ولا بد من التنويه إلى أن هذه الانفرادات متواترة النقل عن رسول الله ﷺ والقراءة بها قرآن^(٢). ولم تقف هذه الدراسة على ما يشفي الغليل ويروي العليل في توجيه الفرش لذا ستقتصر بعون الله تعالى على الاجتهاد في بيان بلاغة النظم في الكلمات القرآنية التي انفرد بها هذا الإمام وراويها رحمهم الله تعالى وأسكنهم فسيح جناته.

المبحث الثاني:

أثر بلاغة النظم في انفرادات الأفعال في قراءة الحضرمي.

قراءة يعقوب الحضرمي -رحمه الله تعالى- حوت عدداً وافراً من الأفعال التي انفرد بها هذا القارئ عن سائر القراء؛ فإما أن يكون قد انفرد عنهم في تصريف الفعل فما قرأه في الأمر قرأه في الماضي وبالعكس، وما قرأه بالمضارع المرفوع قرأه بالمنصوب. وقد يكون الاختلاف في الوزن الصرفي للفعل، أو في دلالة الفعل على فاعله. ومما لا شك فيه أن هذا التحول في الأفعال الذي انفردت به قراءة يعقوب بليغ في موقعه، ودليل على إعجاز القرآن الكريم بما اشتمل عليه من وجوه القراءة. وسينم في هذا المبحث توضيح بلاغة النظم فيما تيسر من تلك الأفعال.

المطلب الأول: انفرادات الحضرمي في الأفعال من حيث زمن الفعل وإعرابه.

الفعل في اللغة العربية يدل على التجدد والحدوث، ولا بد أن يرتبط بزمن لا سيما إن كان ماضياً أو مضارعاً. وإن الفعل إذا تغير زمنه تغيرت دلالاته على المعنى بناءً على تغير إعرابه فالإعراب فرع المعنى. ولا تفهم تلك الدلالة وتندقق بلاغة التعبير إلا بدراسة التركيب والسياق، وهو ما يسميه أهل البلاغة: النظم، والذي عرفه الجرجاني في دلائل الإعجاز

بأنه توخي معاني النحو. يقول الجرجاني -رحمه الله تعالى- في دلائل الإعجاز:

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى
حكم من النحو نمضي في توحيه
ونحن ما إن بثنا الفكر ننظر في
أحكامه ونروي في معانيه
كانت حقائق تلقى
بها وكلا تراه نافذاً فيه
فليس معرفة من دون معرفة
في كل ما أنت من باب تسميه^(٣)

وبالتأمل في حال الأفعال التي انفرد بها الحضرمي، أو أحد راوييه يمكن دراستها على النحو التالي:

أولاً: التعبير بالفعل الماضي وأثره في بلاغة النظم.

انفرد يعقوب بقراءة الفعل الأمر ماضياً في قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْكَ ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]. انفرد الحضرمي بقراءة الفعل (انطلقوا) بصيغة الماضي، في حين قرأه الباقر بصيغة الأمر الطلبي الذي يدل على التوبيخ والتفريع؛ تبعاً للأمر الذي سبقه^(٤).

ويترتب على هذا الانفراد: تحول دلالة الجملة من الإنشاء الطلبي إلى الخبر فحينما أمروا بالانطلاق إلى ما كانوا به يكذبون انطلقوا إلى ظِلِّ من العذاب الذي طالما أنكروه وكذبوا من أرسل بالإنذار به. يقول تعالى واصفا حالهم في النار: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلٌّ﴾ [الزمر: ١٦]. وإن في التعبير بالماضي تأكيد على تحقق وقوع وعيد الله لهم وحلول العذاب بهم.

ثانياً: التعبير بالفعل المضارع المنصوب منفرداً عن سائر القراء الذين يقرأونه بالرفع وبالعكس:

يقول الله تعالى في سورة الشعراء على لسان موسى عليه السلام بعد أن طلب الله تعالى منه أن يأتي قوم فرعون لعلمهم يتقون: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقَ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقَ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَازُونَ﴾ [الشعراء: ١٢-١٣]. (واختلفوا) في (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) فقرأ يعقوب بنصب القاف منهما وقرأ الباقر برفعها^(٥). واختلف في "ويضيق صدري ولا ينطلق" فيعقوب بنصب القاف منه ما عطف على يكذبون، والباقر بالرفع على الاستئناف.

لقد عبر موسى عليه السلام عن ثلاثة أمور تخيفه وتلقي في قلبه الوجع من مقابلة فرعون وقومه؛ خاف من التكذيب ومن ضيق الصدر، وعدم انطلاق اللسان. فالواو في هذه الآية عاطفة فكلمة (يضيق) منصوبة بأن وكذلك (ينطلق). وهذا يدل على حرص موسى عليه السلام وتحريره الدقة في الإبلاغ. فقد وصف ما عليه حاله فهو قاتل لاذ بالفرار، ومتكلم لا يفصح بلسان القوم لذا طلب من الله أن يجعل له وزيراً من أهله يكون له عوناً في تنفيذ مهمته^(٦). في حين أن قراءة الجمهور تصف حالة قد تعيق إبلاغ الرسالة؛ حيث إن موسى عليه السلام يفصح عن إدراكه للمفارقات بينه وبين فرعون وقومه؛ إذ يدعو الله أن يشرح صدره.

كما أنه انفرد برفع الفعل المضارع (ونبلو) الذي قرأه الباقر منصوباً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنَنْبُلُوكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]^(٧).

بمعنى نكشفها ونظهرها وذلك نظير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] أي: تكشف وتجلي^(٨). الواو في الآية عاطفة، ولكنها حسب قراءة رويس عن يعقوب معطوفة على الفعل (ولنبلونكم) وهو فعل مضارع مبني على الفتح في محل رفع^(٩).

إن السياق يتحدث عن كشف سرائر المنافقين وتحاليلهم على الدين ورسول الله ﷺ وذلك بادعائهم الإيمان واستبطنهم الكفر، وإن الله ﷻ يدل نبيه ﷺ على وسائل كشف أولئك بسببهم وفي لحن قولهم، ثم ينتقل الخطاب إلى العموم فالله ﷻ يرقب الجميع ويضعهم تحت اختياره، وسيكشف نتاج رقابته واختباره يوم تبلى السرائر والله تعالى أعلم.

ثالثاً: قراءة ما قرأه القارئ بالماضي للمعلوم أو المجهول بصيغة المضارع.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

(واختلفوا) في (وأملى لهم) فقرأ البصريان بضم الهمزة وكسر اللام. وفتح الياء أبو عمرو وأسكنها يعقوب. وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام وقلب الياء ألفاً^(١٠).

لا شك أن الردة بعد الهدى استجابةً لداعي الشيطان وتسويله لنفوس من ارتدوا أن يفعلوا تلك الفعل، ومن رحمة الله ﷻ بأولئك أنه يمهّل ولا يهمل، فلعل المرتد أن يتوب من غفلته وإلا يزداد إثماً، ويحظى بالذل والهوان. وعليه، يفهم نظم الآية ويكون التأويل: إن الذين ارتدوا بعد تبصيرهم بالهدى ووعيبهم لطريقه سول لهم الشيطان ذلك، وأن الله ﷻ يتوعدهم بالإملاء أي الإمهال لهم. والواو هنا استنافية وأملى فعل مضارع مرفوع فيه دلالة على تجدد الإملاء من الله مع تجدد الارتداد ممن كفر في كل زمان للحكمة التي سبق ذكرها، فإما أن يتوبوا وإما أن يزدادوا إثماً ويحظوا بالعذاب المهين. وفي الآية التفتت من الغائب إلى المتكلم بمعنى: الشيطان سول لهم وأنا (الله) أملى لهم. وفائدة الالتفات في الآية توضيح أن الله رقيب محيط عالم لا تخفى عليه خافية مهما خفت تسويلات الشيطان ووسوساته، والله تعالى أعلم^(١١). يتبين مما سبق أن لكل فعل دلالاته حسب الزمن الذي ارتبط فيه، وحسب وروده بزمنه في سياقه ونظمه الآية. وإن تفرد يعقوب أو أحد روييه في هذا الجانب يؤكد حقيقة لا تقبل الجدل، مفادها: أن كل قراءة هي وحي سماوي، وهي الأبلغ في مكانها وسياقها ونظمها، قد وقع فيها التحدي بوصفها جزءاً من آية ضمن سورة قرآنية.

المطلب الثاني: بلاغة النظم في انفرادات الحضرمي من حيث الوزن الصرفي للفعل.

في المطلب السابق نوقشت بلاغة النظم في الأفعال عند الحضرمي من حيث تصريف الفعل وزمنه وبنائه وإعرابه، وفي هذا المطلب سيتم دراسة انفرادات يعقوب الحضرمي -رحمه الله تعالى- التي تميزت عن سائر ما قرأ به القراء باختلاف وزنها الصرفي.

ويمكن تصنيف ذلك على النحو الآتي:

أولاً: أفعال مجردة ثلاثية اختلفت حركة عين مضارعها: ومثاله قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، و﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ

المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرُونَ منهم سخرَ الله منهم ولهم عذابٌ أليمٌ [التوبة: ٧٩] فالفعل يلمزون ويلمرك في الآيتين يقرأ عند الحضرمي بالميم المضمومة وعند باقي القراء بالميم المكسورة؛ وبالتالي فإن وزن الفعل يختلف، ولا بد لاختلاف ذلك الوزن من أثرٍ في المعنى يدرك بعلاقة الفعل بالتركيب والسياق. قال المفسرون وأهل اللغة للزم العيب، ولكنهم اختلفوا هل يكون بالإشارة أم بالعبرة^(١٢)؟

إن قراءة الضم إذا كان اللز بالعبرة تصور نبرة صوتهم وتبرّمهم وهم يعيرون رسول الله ﷺ، ويطعنون بشخصه، ويتهمونه بالمحاباة في توزيع الصدقات، والتبرّم يكون بضمّ الشّفاء وعقد الحاجبين. وإذا كانت بالإشارة فإنّ قراءة ضم الميم واضحة الدلالة على مشاعر الضغينة والغضب والاشتمزاز التي تتبعث من قسامات وجوههم وسيماهم وهم يعيرون بالإشارة. وإنّ السياق والتركيب يعاضدان اللفظ في رسم السورة فمثلاً: حينما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٧٩] أكدت دلالة يسخرون في الآية ودلالة لا يجدون إلا جهدهم تلك المعاني، كل ذلك يعاضد يلمزون بالضم في رسم صورة المبخس المستهزئ الذام المتبرّم، والله تعالى أعلم.

ثانياً: أفعال قرئت مزيدة وانفرد يعقوب بقراءتها مجردة.

ومثال ذلك قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، فقد انفرد يعقوب الحضرمي بتخفيف الدال في (تَدْعُونَ) فقرأها (تَدْعُون) ونقلها الباقرن. يفهم من ذلك (أن الله تعالى لما يرههم العذاب قريباً يوم تقوم الساعة فينظرون إليه بأمر أعينهم تكلح وجوههم وتبدوا عليها علامات النذل من هول المفاجأة، فيقول لهم هذا العذاب الذي كنتم تتحدون به أنبياءكم وتطلبونه بقولكم ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأأنفال: ٣٢])؛ فالدعاء فيه معنى الالتماس والطلب وطلبهم هذا يدل على مبلغ إنكارهم لوقوع العذاب، والله تعالى أعلم^(١٣).

ثالثاً: أفعال مجردة زيدت بالألف.

إن زيادة الفعل بالألف في وسطه تفيد المشاركة والمفاعلة نقول قتل وقاتل لبيان أن القتال حصل بين فريقين أو شخصين. وقد انفرد يعقوب الحضرمي بزيادة ألف على الفعل الثلاثي (أمر). يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]؛ تتحدث الآية الكريمة عن سبب إهلاك القرى وهو أن الله يأمر أهلها بالصلاح وبما فيه استقامة حياتهم إلا أنهم يقابلون ذلك بالصدود والعصيان والفسق، والذي يتولى ذلك أولئك المترفون البطرون المتكبرون من عليّة القوم فعلى قراءة يعقوب الحضرمي يكون المعنى أحد أمرين:

أ- زيادة الألف تفيد التكثر بمعنى أن الأدلة الدامغة على الحق تجتمع نصب أعينهم وتتضح مفاهيمها لديهم إلا أنهم يقابلونها بالفسوق، ففي زيادة الألف معنى التكثر.

ب- أن تكون (أمر) تؤدي معنى المفاعلة والمشاركة، أي: إن المترفين أمر بعضهم بعضاً بالفسوق؛ رداً على أمر الله لهم بالامتثال. فلفظة أمر تدل على التحريض الذي يستشف من وزن فاعل^(١٤).

وقد يخطر ببال سائل أن يسأل: لماذا نسب الفعل إلى الله ﷻ بضمير المتكلم مع أن المتأمرين فعلوا ذلك بمحض اختيارهم للمخالفة؟ فكيف يأمرهم ويعذبهم؟!
والجواب: إن كل شيء داخل تحت إطار العلم الإلهي فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإن ذلك التأمر الذي يفسر مقابلة أمر الله بالصدود والتحالف بين عليّة القوم من أهل الكفر يعلمه الله ويكشفه. وعليه، يكون المعنى حسب قراءة يعقوب الحضرمي: إذا أراد الله أن يهلك قرية لم يهلكها إلا بعد أن يرسل إليها رسولا يوضح أمر الله ﷻ، ويرقب ماذا يفعل القوم، فلا يكون من أهل الباطل إلا أن يحاربوا الحق بترفهم وفسوقهم ويرصوا صفوفهم ويحشدوا عددهم وعدّتهم ويمكروا لمحاربة الدعوة فيحق الهلاك عليهم. فهو فعل الله باعتبار العلم والتقدير العام، وفعل الخلق باعتبار اختيار طرق الضلال والمكر للحق وأهله^(١٥).

رابعاً: أفعال مجردة زيدت بالتضعيف والألف.

إن زيادة الأفعال بالتضعيف تفيد التكرير والمبالغة، وزيادتها بالألف تفيد المشاركة بين طرفين، وزيادتهما معا تفيد التكرير والمشاركة.

انفرد يعقوب الحضرمي بقراءة يسأعلون في قوله تعالى: ﴿يَحْسُبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۗ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ۗ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]؛ فقد قرأها يعقوب بالفعل المزيد بالتضعيف والألف (يسأعلون) وقرأها الباقرن بالفعل الثلاثي يسألون مضارع سأل^(١٦).

إن سياق الآيات يتحدث عن موقف المنافقين في سورة الأحزاب فهم يثبطون الناس، ويخلخلون الصفوف، وإذا داهمهم الخطر قواهم الخوف فإذا ذهب الخوف وأصبح المسلمون في موقف قوة ينتشر أولئك المنافقون في الأرض يتحسسون أخبار من آمن وجاهد مبدين حرصهم على القتال وعدم قدرتهم عليه. ففي قراءة التشديد والمد إبراز لحرص المنافقين والذين في قلوبهم مرض على إظهار حسن النوايا، بتمثيل الحرص، وفي الفعل يسأعلون دلالة على أن المنافقين يبذلون وسعهم في السؤال عن المسلمين لا حرصاً منهم على أمنهم، ولكن رغبة في عدم خسارتهم بانكشاف أمرهم فالفعل يسأعلون فيه دلالة على الاستقصاء والبحث والتقصّد لذلك السؤال. وفي ذلك إبراز لنفاق المنافقين وتلبسهم الحالة التي عليها من ينافقون لهم حفاظاً على مصلحتهم وحظوتهم عندهم؛ فمصلحتهم مهم حيث دارت يدورون^(١٧).

وهناك أفعال ثلاثية زيدت عند يعقوب بالتشديد والتاء وذلك في قوله تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٥]؛ أي تنقول زيد الفعل بالتاء والتضعيف، وهو مضارع الفعل تقول. ويقرؤها الباقرن (تقول) مضارع قالت. كان على الباحث أن يقول: قرأ يعقوب وحده (تَقُولَ) بفتح القاف وتشديد الواو على (تَقَعَلْ) وقرأ الباقرن (تَقُولَ) بضم القاف وإسكان الواو.

والفرق بين القول والتقول أن التقول فيه معنى الاختلاق وإصاق الأكاذيب والتهم فيما يحكى عنه. ومعنى الآية: أنا ظننا أن الإنس والجن لن تختلق على الله الكذب، وتنسب إليه ما لا يليق.

خامساً: أفعال مزيدة اختلف وزنها الصرفي.

هناك أفعال وردت مزيدة في القراءات القرآنية إلا أن يعقوب الحضرمي انفرد عنهم بما زاده على الثلاثي منها فما زيد بالهمز عندهم زيد بالتضعيف عنده ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ لمريم: ٦٣؛ (وَاخْتَلَفُوا) فِي: نُورِثُ فَرَوَى رُوَيْسٌ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالِاسْكَانِ وَالتَّخْفِيفِ، فَقَدْ زِيدَتْ كَلِمَةُ (نُورِثُ) عِنْدَ يَعْقُوبَ بِالتَّضْعِيفِ وَزِيدَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ بِالْهَمْزِ^(١٨).

هناك أفعال مزيدة في أصل قراءتها زيدت عند يعقوب بالتاء وبقيت رباعية مضعفة عند غيره ومثاله قوله تعالى في مطلع سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، قرأها يعقوب (لا تَقَدَّمُوا بين يدي) بفتح التاء والقاف وتشديد الدال وفتحها، في حين قرأ الجمهور تَقَدَّمُوا بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال وكسوها؛ فالفعل تَقَدَّمُوا مضارع الفعل قَدَّمَ والفعل تَقَدَّمُوا مضارع الفعل تَقَدَّمَ والاصل تتقدموا ادغم التاء بالتاء. وهناك أفعال زيدت بالتاء في بدايتها والألف في وسطها وانفرد رويس عن يعقوب بقراءة التاء عوضاً عن الألف في وسط الكلمة، ومثاله: قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩]؛ فالفعل تتناجوا مضارع الفعل تناجى والفعل تتناجوا مضارع الفعل انتجى^(١٩).

واختلف في "فَلَا تَنَاجَوْا" [الآية: ٩] فرويس "تتناجوا" بوزن تنتهوا كذلك، والباقون تتناجوا بتاعين خفيفتين ونون وألف وجيم مفتوحة.

كما انفرد يعقوب بزيادة الفعل الثلاثي بالهمز وزاده غيره بالتضعيف ومثاله في سورة الأنعام ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مَنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالتَّبَعْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَنْ نُنَجِّيَكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]؛ فالفعل ينجيكم مضارع الفعل نجى والفعل ينجيكم مضارع الفعل أنجى.

وسيمم الاقتصار في هذا الباب على مثالين، وهما:

أولاً: قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩]. قرأ رويس عن يعقوب تتناجوا وهو مضارع الفعل انتجى، وقرأه الباقر تتناجوا مضارع الفعل تناجى بالهمز^(٢٠).

يتحدث سياق الآيات عن علم الله المحيط في كل شيء، وناسب ذلك الحديث أيضاً عن قيام مجموعة من المنافقين بالتناجى أمام رسول الله ﷺ ومن آمن حيث كان ذلك يؤذي النبي ﷺ وأهل الإيمان، فنزلت الآيات تبين أن ما يتناجى فيه أولئك المنافقون هو إثم وعدوان ومعصية، ونهاهم عن ذلك، وبين أن الله يعلم النجوى ويحاسب عليها^(٢١).

ثانياً: قوله تعالى في مطلع سورة الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، انفرد يعقوب بقراءة الفعل مزيدا بالتاء المفتوحة مع فتح الدال، وقرأه الباقر رباعيا مكسورة داله؛ فالفعل تَقَدَّمُوا مضارع الفعل تَقَدَّمَ والفعل تَقَدَّمُوا مضارع الفعل قدم وعليه يكون المعنى وفق قراءة الحضرمي: يا أيها الذين آمنوا لا تتقدموا أمام الله

ورسوله بمعنى لا تمشوا أمامه، فهو قائدكم ولا تقدموا رأيكم على رأيه فإنه صادرٌ عن وحيٍ يوحى إليه به من عند الله. كما يفهم من قراءة الحضرمي أن التقدم المنهي عنه بين يدي النبي -عليه الصلاة والسلام- يمكن أن يكون قولياً بالإدلاء بالأراء بين يدي رأيه مما فيه نص، وإما أن يكون فعلياً بحركات الجسد والمشى وغير ذلك، وفي المحصلة فإن قراءة الحضرمي جمعت الاحتمالين المفهومين من الآية. يقول ابن عطية: (لا تَقَدِّمُوا لا تَمْشُوا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، وكذلك بين يدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء. وتقول العرب: تقدمت في كذا وكذا وقدمت فيه: إذا قلت فيه)^(٢٢).

إن هذه الآية تتناسب مع سياق السورة؛ فهي سورة الأخلاق والسلوك، سورة الأدب والتربية. ومما يجدر بنا إذ نقرأ هذه السورة أن نتحرى أعلى وأرقى منازل الأخلاق في التعامل معهم والتواضع لهم الأنبياء وورثتهم من العلماء فهذه الآية وفق قراءة الإمام يعقوب تربي النفس على تمثّل الخلق قولاً وفعلاً وسلوكاً.

وتخلصُ الدراسة إلى نتيجة مفادها: أن أي تغيير في ميزان الفعل الصرفي بزيادة أو تجريد أو تغيير في طبيعة الزيادة يؤثر لا محالة في دلالة الفعل على المعنى المراد والذي يفهم من التأمل في نظم ذلك الفعل وسياقه. وهذا هو الإعجاز بعينه.

المطلب الثالث: انفرادات الحضرمي من حيث العلائق التركيبية.

فيما سبق جرى الحديث عن الفعل بحد ذاته من حيث زمنه ووزنه ودلالته على المعنى، وفي هذا القسم من البحث سيتم الحديث -بعون الله تعالى- عن علاقة الفعل بالتركيب فلا بد للفعل من فاعل أو نائب فاعل. وقد يتصل الفعل بزوائد لا محل لها من الإعراب وتؤثر في معناه، مثل: نون التوكيد الثقيلة والخفيفة، وتاء التأنيث، وحرروف المضارع، وغير ذلك. وإن القراءات القرآنية حوت حظاً وافراً من التبادلات القرآنية التي تنثري النظم وتؤثر في المعنى لا محالة. وقبل التفصيل فيما انفرد به الحضرمي في هذا الشأن لا بد من الإشارة إلى أن علاقة الفعل بالتركيب -لا سيما الفاعل- ونائبه تسمى عند البلاغيين العلاقة الإسنادية فالفعل مسند والفاعل مسند إليه، وكذا نائبه إذ هو يقوم مقام الفاعل عندما يبني للمجهول^(٢٣).

ويمكن تصنيف العلائق التركيبية في انفراد الحضرمي بما يلي:

أولاً: من حيث دلالة الفعل على فاعله سمي أو لم يسم:

لا بد للفعل من فاعل أو ما يقوم مقامه فإذا كان الفاعل مسمى كان الفعل مبنياً للمعلوم، وإن لم يسم الفاعل وقام مقامه المفعول به كان الفعل مبنياً للمجهول^(٢٤).

وقد انفرد الحضرمي عن سائر القراء بقراءة بعض الأفعال المبنية للمعلوم بصيغة المبنى للمجهول وبالعكس. ومن أمثلة ذلك:

(١) قراءة ما سمي فاعله عند غيره بصيغة ما لم يسم: ومثاله قوله تعالى في سورة الأنبياء عن ذي النون **يونس** **﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ**

الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، انفراد الحضرمي بقراءة الفعل (نقدر) بصيغة المبني للمجهول (يُقدر)، وقد قرأها الباقون بصيغة المبني للمعلوم (نقدر) بنسبة القدرة إلى الله نسبةً مباشرة.

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن أنبياء الله، وقد اختصت السورة بالحديث عن العلاقة الخاصة التي تربط أولئك الأنبياء بالله ﷺ علاقة الاخبات والتذلل والدعاء والتوبة والإنابة.

وفي هذه الآية يشير القرآن إلى ذي النون يونس ﷺ الذي ذهب مغاضبا حين أزعجه القوم بإصرارهم على التكذيب والعناد. يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتَ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢]. فحينما ركب يونس ﷺ في الفلك المشحون بعد أن كان من الذين وقع عليهم الحكم بمغادرة الفلك -إثر استهامه- ظن بالله خيرا فهو خالقه ولن يضيقَ عليه أو يقضي عليه بهلاك^(٢٥)، إلا أن هذا الظن لم يصل إلى درجة اليقين لا لأن يونس ﷺ غير واثق بالله إنما كان ذلك لما حاك في نفسه من شعورٍ بأنه قد يكون تسرع في ترك قومه وأغضب الله ﷻ نتيجة لذلك. وهذا من شفافية نبي الله ﷺ ونفسه اللوامة التي تتوق إلى رضى الله وتتحسس من مخالفته. فكانت النتيجة أن التقمه الحوت وهو ملجم.

إن في قراءة البناء للمجهول توضيحٌ لما في نفس يونس ﷺ الرقابة الشفافة إذ لم يفصح عن الفاعل لبيان حياة ذي النون ﷺ من الله ﷻ ولومه لنفسه لما فعل، ومع ذلك فهو لا يظنُ بخالقه ورازقه وراحمه إلا خيرا، فلن يقدر عليه أي لن يضيق عليه المكان ولن يُقدر عليه الهلاك، والله تعالى أعلم.

ومن أمثلة انفراده عن القراء بما سمي فاعله قوله تعالى في سورة طه مخاطبا نبينا محمداً ﷺ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ فقد قرأها بالبناء للمعلوم (تقضي) والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن يعود على الله ﷻ، ووحيه مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة؛ وقد حذف الفاعل لتعظيم شأن الموحى وقد دل عليه السياق. أما الباقون فقد قرأوا (يُقضى) بصيغة المبني للمجهول، ووحيه نائب فاعل مرفوع. كان رسول الله ﷺ يستعجل بقراءة القرآن لتثبيته في نفسه، ويحرك به لسانه حتى لا ينقلت، فنزلت الآية الكريمة لتطمئن قلبه الشريف بأن الله كفيل بأن يثبتته في قلبه، ويقضي إليه وحيه^(٢٦). ومعنى القضاء: الإتمام والإبرام، (وَمَعْنَىٰ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ أَي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ وَحْيِي مَا قُضِيَ وَحْيُهُ إِلَيْكَ، أَي مَا نُفِّدَ أَنْزَالُهُ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ. فَالْمُنْهَىٰ عَنْهُ هُوَ سُؤَالُ التَّعَجُّلِ أَوْ الرَّغْبَةُ الشَّدِيدَةُ فِي النَّفْسِ الَّتِي تُشْبِهُ الْإِسْتِبْطَاءَ لَا مُطْلَقَ مَوَدَّةِ الْإِزْدِيَادِ)^(٢٧).

قال بعض المفسرين: إن الآيات حينما كانت تنزل على الرسول ﷺ بما يصلح به شأن القوم كان رسول الله ﷺ يطلب المزيد حرصا منه على أن يصل قومه إلى أعلى درجات الصلاح والالتزام بأمر الله إذ هو بينهم، يعاني ما يعاني من جحودهم وعنادهم، ويتحرق قلبه شوقا لإصلاح فسادهم، فطمأنه الله في الآية الكريمة، ونهاه عن الاستعجال بنزول ما يصلح القوم فإن الله خالقهم يدبر أمرهم ويعلم كيف يصلحهم، فلا تعجل يا نبي الله وقر عينا، واطلب زيادة العلم وانتظر أن يقضي الله إليك وحى آيات يكمل بها الدين، وتتم النعمة، ويدخل الناس في دين الله أفواجا^(٢٨).

وإن في قراءة البناء للمعلوم نسبة قضاء الوحي لله ﷻ نسبةً مباشرة وفي ذلك مزيد تطمين وتسرية لقلب نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

ثانياً من حيث دلالة الفعل على مضمير فاعله.

قد يكون فاعلُ الفعلِ اسماً ظاهراً، وقد يكون ضميراً متصلاً أو مستتراً فالفعل يدل على فاعله دلالة الخطاب، أو الغيبة، أو صيغة التكلم، وتظهر تلك الدلالة بتأمل الصلة بين الفعل وفاعله وهي ما يسميه البلاغيون علاقة الإسناد إذ لا بد من أغراضٍ بلاغية متعلقة بمعنى يراد إبرازه يتجلى بإدراك تلك الصلة .

وقد انفرد الحضرمي بما يدل على الإخبار فيما قرأه الباكون بالغيبة، وما يدل على الخطاب فيما قرأه الباكون بالغيبة، وما يدل على الغيبة فيما قرأه الباكون بالإخبار أو الخطاب .
ومن أمثلة ذلك:

أ- دلالة الفعل على الغيبة وقراءة غيره له بالإخبار وبالعكس:

انفرد يعقوب الحضرمي عن غيره في بعض المواقع حيث قرأ بالإخبار ما قرأه غيره بالغيبة، وقرأ بالغيبة ما قرأه غيره بالإخبار . ولا شك أن الغيبة والإخبار يسهمان في توضيح علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله.
ومثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. انفرد يعقوب بقراءة الفعل (يفرق) دالاً على الفاعل وهو المؤمنون، وقرأها الباكون بالفعل الدال على فاعله دلالة التكلم نفرق .

وعليه يكون تأويل قراءة الحضرمي: إن الله شهد أن لا أحد من المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله يفرق بين أحدٍ من الرسل -عليهم السلام- . وناسب ذلك ما ذكره الله ﷻ في بداية الآية حين شهد لرسول الله ﷺ بالإيمان بدلالة الغيب (أَمَّنَ الرَّسُولُ) وإن في شهادة الله لهؤلاء تكريماً وتشريفاً وإعلاءً لشأنهم . فهنيئاً لمن شهد الله له بالخير، وطوبى لمن انضوى تحت راية أولئك المؤمنين . ثم يلتفت السياق من الحكاية عنهم إلى الحكاية على لسانهم (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٢٩).

ب- انفرد به بما يدل على الخطاب وقراءة الباكين له دالاً على الغيبة:

يقول الله تعالى في سورة يونس ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] انفرد الحضرمي بقراءة الفعلين المضارع ينفي الآية الكريمة ببناء الخطاب (تفرحوا، تجمعون) (٣٠) في حين قرأها الباكون بالفعلين دالين على الغيبة (يفرحوا، يجمعون) (٣١) إن قراءة الخطاب تنتاسب وسياق الآية الكريمة ففي الآية التي سبقتها يقول الله تعالى مخاطباً الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] وفي الآية التي تليها يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [يونس: ٥٩] وإن في قراءة الخطاب توجيهه لأولئك الغارقين في متاع الدنيا الذين يجمعون ويوعون من عرضها الزائل، من الخير لكم أيها الناس أن تفرحوا بفضل الله ورحمته بأن أنزل إليكم موعظة وشفاءً لما في صدوركم وهدى ورحمة، فآمنوا به وأذعنوا واستجيبوا لبطالكم الخير الباق الذي لا ينفد. وتوجيه القراءة الأخرى؟؟

ج- انفراده بما يدل على الأخبار مع قراءة الباقيين له بالغيبة:

يقول الله تعالى في سورة التغابن ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِينِ﴾ [التغابن: ٩] انفراد الحضرمي بقراءة (نجمعكم) على صيغة التكلم بنون العظمة ونسبة الفعل إلى الله ﷻ، وقد قرأها الباقيون بياء الغيبة (بجمعكم) (المصير) (٣٣).
تتحدث سورة التغابن عن توحيد الله ﷻ وتعظيمه وتنزيهه، وذكر امتنانه على خَلْقِهِ بحسن الخلق والتصوير، وبيان أن مصيرهم بيده ويكون وفق استجابتهم لرسالة السماء، فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

إن القراءة بنون العظمة يفهم منها أن الله يخبر عباده مباشرة بجمعهم لذلك اليوم الذي يتبين فيه غبن كل إنسان لنفسه فالكافر قد غبنا بجحوده وإنكاره وعناده، والمؤمن قد غبنا بغفلته وتقصيره أحياناً. إن في قراءة الإخبار استقرازا للنفس، وتوجيها لها بأن تستجيب للعظيم وتلبي نداء بالإيمان به وبرسوله والنور الذي أنزل، وتستعد لقرار الجمع الرباني برصيدٍ وافرٍ من صالح العمل وخالص النية، فالمتكلم هو الله، وصاحب القرار هو -سبحانه- يخبر الناس مباشرة عن قراره، يجلي بذلك العظمة والجلال عسى أن تصغي القلوب وتستجيب.

ثالثاً: انفراد الحضرمي بتأنيث ما ذكره الباقيون:

إن دلالة الفعل على التأنيث تفهم من اتصال الفعل ببناء التأنيث ويفاعل مؤنث. وقد انفراد الحضرمي بقراءة بعض الأفعال بصيغة التأنيث بما يتناسب مع دلالة الفاعل على المؤنث ومثال ذلك قوله تعالى في سورة النحل: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢].

انفراد يعقوب الحضرمي بقراءة (تنزل) بالفعل المضارع المبدوء ببناء التأنيث والملائكة فاعل يعامل معاملة المؤنث المجازي، وقد قرأها الباقيون بالفعل المضارع الدال على التذكير المبدوء ببناء المذكر الغائب والفاعل ضمير يعود على الله ﷻ، والملائكة مفعول به منصوب (٣٣).

يلحظ من قراءة الحضرمي بالتأنيث إسناد التنزل بالروح إلى الملائكة فهي التي تقوم بتلك الوظيفة بأمر من الله ﷻ، وفي ذلك ردٌّ على منكري وجود الملائكة فهم عبادٌ خلقهم الله ليقوموا بأمره، وشرفهم بحمل وحي السماء إلى الأرض. وقد تناسبت القراءة مع سياق الآيات التي تبين إتيان أمر الله فكيف كان ذلك الإتيان؟ لقد كان بتنزل الملائكة بالروح استجابةً لأمر الله. ويدل على ذلك (من أمره) أي انطلاقاً من أمره، والله تعالى أعلم؛ وإن في التعبير ب(من أمره) دلالة على أن الملائكة تنتزل انطلاقاً من أمر الله.

رابعاً: انفراد الحضرمي بالتعبير بالفعل فيما قرأه الباقيون بالاسم:

ومثاله قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وذلك بصيغة الفعل المضارع (يقدر) وقد قرأ الباقيون (بقادر) بصيغة اسم الفاعل (٣٤).

اكتفى أهل التفسير بذكر الفرق في الدلالة النحوية بين قراءتي الاسم والفعل فكلمة قادر اسم فاعل ويقدر فعل مضارع.

وبالتأمل في قراءة يعقوب الحضرمي يلحظ أن الدلالة على صفات الله ﷻ بالفعل المضارع يفيد استحضار الصورة وعليه يكون المعنى: ألم يعلم أولئك المنكرون للبعث ويحضر في أذهانهم أن الله ﷻ يقدر على إحياء الموتى؟ ويأتي الجواب بالجملة الاسمية التي تفيد ثبوت تلك الصفة في حق الله تعالى: (بلى إنه على كل شيء قدير). وإن في استحضار الصورة المفهومة من الفعل المضارع استمالة لقلوب أولئك المنكرين، وتوجيها لعقولهم لتتفكر وتعقل.

إن ما سبق ذكره من الأفعال التي انفرد بها الحضرمي انسجاما مع السياق والنظم يوحي إلى العقل السليم أن تفكر وإلى القلب الشفاف السليم أن أحب وأدعن وتأثر؛ فالقرآن الكريم بقراءته المختلفة والتي تحوي أفعالا ذات دلالات مختلفة على المعاني لا يترك مجالاً لمعاند؛ فما هو يستميل القلوب ويقنع العقول بأساليب لا يملك الإدراك أمامها إلا أن يقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

الخاتمة.

تحدثت الدراسة عن بعض انفرادات يعقوب الحضرمي في وجوه قراءة كلمات من القرآن الكريم وربط تلك الانفرادات مع تركيب الآية وسياقها الذي وردت فيه، وتبقى هذه الدراسة قاصرة عن بلوغ المرام لكنها حامت حول حماه ما استطاعت إليه سبيلا، ومن أهم ما خلصت إليه من نتائج:

- ١- لا شك أن دلائل إعجاز القرآن الكريم والتي تتجلى من خلال النظم كما يرى الجرجاني -رحمه الله تعالى- تنطلق من الكلمة إلى الجملة إلى التركيب إلى السياق فالقراءة كلمة تنطلق منها دراسة النظم.
 - ٢- إن لكل فعل دلالاته حسب الزمن الذي ارتبط فيه، وحسب وروده بزمنه في سياقه ونظمه الآية. وإن تفرد يعقوب أو أحد راوييه في هذا الجانب يؤكد حقيقة لا تقبل الجدل، مفادها: أن كل قراءة هي وحي سماوي، وهي الأبلغ في مكانها وسياقها ونظمها، قد وقع فيها التحدي بوصفها جزءاً من آية ضمن سورة قرآنية.
 - ٣- إن قراءة الحضرمي غنية بالتنوع في انفراداتها، خاصة في الأفعال من حيث زمن الفعل وإعرابه، والوزن الصرفي، ومن حيث العلاقات التركيبية؛ فهي مجال خصب للدراسة وكذا سائر القراءات.
 - ٤- إن أي تغيير في ميزان الفعل الصرفي بزيادة أو تجريد أو تغيير في طبيعة الزيادة يؤثر لا محالة في دلالة الفعل على المعنى المراد والذي يفهم من التأمل في نظم ذلك الفعل وسياقه. وهذا هو الإعجاز بعينه.
 - ٥- انفراد يعقوب الحضرمي عن غيره في بعض المواقع حيث قرأ بالإخبار ما قرأه غيره بالغيبة، وقرأ بالغيبة ما قرأه غيره بالإخبار. ولا شك أن الغيبة والإخبار يسهمان في توضيح علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله.
- والحمد لله رب العالمين.

التوصيات:

- إيلاء أهمية للقراءات القرآنية في مواقعها والتأليف فيها فهي مجال غني للبحث والدراسة.
- دراسة أثر انفرادات كل قراءة في النظم على حدة.

– ربط مدلولات القراءات ضمن نظمها وسياقها في الواقع المعيش؛ ليتمكن أهل القرآن من التربي والتربية على منهج الله القويم؛ انطلاقاً من كل ما أنزل.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش.

- (١) ينظر: الذهبي (ت ٦٩٨هـ)، الإمام شمس الدين: أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الدكتور طيار قولاج، ج ١، ص ١٣٠ و ١٣١. وينظر: ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، شمس الدين أبو الخير، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، (ط ١)، ١٣٥١هـ، ج ٢، ص ٣٨٦ و ٣٨٧.
- (٢) ينظر: ضمرة: توفيق إبراهيم ضمرة تنوير القلوب في قراءة يعقوب، (ط ١)، ٢٠٠٧م، ص ١٣ الى ٢٤.
- (٣) الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، (ط ٣)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج ١، ص ١٠.
- (٤) ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع، دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ٣٩٧.
- (٥) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٣٧٥.
- (٦) ينظر: أبو السعود (ت ٩٨٢هـ)، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٦، ص ٢٣٦.
- (٧) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٤١٤.
- (٨) ينظر: الطبري (ت ٣١٠هـ)، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق: أحمد شاكر)، ج ٢٤، ص ٣٥٨.
- (٩) ينظر، الثعلبي (ت ٨٧٥هـ)، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (ط ١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٩، ص ٣٨.
- (١٠) ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٤١٤.
- (١١) ابن عطية (ت ٥٤١هـ)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط ١)، ١٤٢٢هـ، ج ٥، ص ١٠٦. وينظر: ابن عاشور (ت ١٣٢٧هـ)، محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ، ج ٢٦، ص ٧٢.
- (١٢) ينظر: الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، (ط ١)، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٧٤٧. وابن منظور (ت ٧١١هـ)، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط ٣)، ١٤١٤هـ، ج ٥، ص ٤٠٦.
- (١٣) ينظر: الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، معاني القرآن، الدكتور هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط ١)، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج ٢، ص ٥٦٤. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٤٩-٥٠.

- (١٤) ينظر: الرازي (ت ٦٠٦هـ)، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، (ط٣)، ١٤٢٠هـ، ج ٢٠، ص ٣١٥.
- (١٥) الفراء (ت ٢٠٧هـ)، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، **معاني القرآن**، أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، (ط١)، ج ١، ص ٤٦٩.
- (١٦) ابن الجزري، **النشر**، ج ٢، ص ٢٤٧.
- (١٧) **الدمياطِيّ** (ت ٧٠٥هـ)، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، (ط١)، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ج ٢، ص ٣٩٢.
- (١٨) ابن الجزري، **النشر**، ج ٢١، ص ٣٨٥.
- (١٩) **الدمياطِيّ**، **إتحاف فضلاء البشر**، ج ١، ص ٥٣٦.
- (٢٠) ابن الجزري، **النشر**، ج ١، ص ٣٧٨.
- (٢١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ٣٣.
- (٢٢) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ٥، ص ١٤٤.
- (٢٣) ينظر: القزويني (ت ٦٢٣هـ)، محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح وتحقيق: الخفاجي، محمد بن عبد المنعم، ج ١، ص ٦٥.
- (٢٤) ينظر: ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ج ١، ص ١١٠.
- (٢٥) ينظر: الأزهري (ت ٣٧٠هـ) **معاني القراءات**، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، (ط١)، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ١٦٨.
- السمين الحلبي، **الدر المصون**، ج ٨، ص ١٠٩.
- (٢٦) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج ٢٤، ص ٦٧.
- (٢٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٦، ص ٣١٦.
- (٢٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٦، ص ٣١٧.
- (٢٩) الرازي، ج ٧، ص ١١٢.
- (٣٠) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج ١، ص ٤٦٩. والاختش، **معاني القرآن**، ج ١، ص ٣٧٥.
- (٣١) ابن الجزري، **النشر**، ج ٢، ص ٢٨٥.
- (٣٢) **الدمياطِيّ**، **إتحاف فضلاء البشر**، ج ١، ص ٥٤٥.
- (٣٣) ينظر: الأزهري أبو منصور، **معاني القراءات**، ج ٢، ص ٧٥.
- (٣٤) ابن الجزري، **النشر**، ج ٢، ص ٣٧٣.